

أضواء البيان

@ 314 له هنا من أن من أشقاهم □ لا ينفع فيهم التذكير جاء مبيناً في مواضع أخر ،
قوله : { إِنَّ السَّذِينَ حَقَّقَتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَةً رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ وَلَوْ
جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَدَّثَ يَرَوْهَا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ } ، وقوله تعالى : {
كَذَلِكَ سَلَكْنَاهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ حَدَّثَ يَرَوْهَا
الْعَذَابَ الْأَلِيمَ } ، وقوله تعالى : { وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالذُّرُ عَنْ
قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ } ، وقوله تعالى : { وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تُوْمِنَ إِلَّا
بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَجْعَلُ الرَّجْسَ عَلَى السَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ } ، وقوله
تعالى : { إِنْ تَحَرَّصَ عَلَى هُدَاهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ يُضِلُّ وَمَا
لَهُمْ مِّنْ نَّاصِرِينَ } . .

وهذه الآية وأمثالها في القرآن فيها وجهان معروفان عند العلماء . .
أحدهما أنها في الذين سبق لهم في علم □ أنهم أشقياء ، عياداً □ تعالى . .
والثاني أن المراد أنهم كذلك ما داموا متلبسين بالكفر . فإن هداهم □ إلى الإيمان
وأنا بوا زال ذلك المانع ، والأول أظهر والعلم عند □ تعالى . والفاء في قوله : { إِذْ
أَتَيْنَا } لأن الفعل الذي بعد (لن) لا يصلح أن يكون شرطاً ل (إن) ونحوها . والجزاء
إذا لم يكن صالحاً (لأن) يكون شرطاً ل (إن) ونحوها لزم اقترانه بالفاء . كما عقده
في الخلاصة بقوله : { إِذْ أَتَيْنَا } لأن الفعل الذي بعد (لن) لا يصلح أن يكون شرطاً ل (إن)
ونحوها . والجزاء إذا لم يكن صالحاً (لأن) يكون شرطاً ل (إن) ونحوها لزم
اقترانه بالفاء . كما عقده في الخلاصة بقوله : % (واقرن بفاحتما جواباً لو جعل % شرطاً
لأن أو غيرها لم ينجعل) % .

وقوله في هذه الآية الكريمة (إذا) جزاء وجواب . فدل على انتفاء اهتدائهم لدعوة
الرسول صلى □ عليه وسلم ، بمعنى أنهم جعلوا ما جيب أن يكون سبباً للاهتداء سبباً
لانتفائه . لأن المعنى : فلن يهتدوا إذا دعوتهم ذكر هذا المعنى الزمخشري ، وتبعه أبو
حيان في البحر . وهذا المعنى قد غلطا فيه ، وغلط فيه خلق لا يحصى كثرة من البلاغيين
وغيرهم . .

وإيضاح ذلك أن الزمخشري هنا وأباً حيان طناً أن قوله : { عُدُّرَا } شرط وجزاء ، وأن
الجزاء مرتب على الشرط كترتيب الجزاء على ما هو شرط فيه . ولذا طناً أن الجزاء الذي هو
عدم الاهتداء المعبر عنه في الآية بقوله : { فَلَنْ يَهْتَدُوا } مرتب على الشرط الذي

هو دعاؤه إياهم المعبر عنه في الآية بقوله : { وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَى }
المشار إليه أيضاً بقوله (إذاً) فصار دعاؤه إياهم سبب انتفاء اهتدائهم وهذا غلط . لأن
هذه القضية الشرطية في هذه الآية الكريمة ليست شرطية لزومية ، حتى يكون بين شرطها
وجزائها ارتباط ، بل هي شرطية اتفافية ، والشرطية الاتفافية